MODIBBO ADAMA UNIVERSTY
THE FOMBINA AREA OF LAKE CHAD REGION

الإسلام وقضية التعايش السلمي في منطقة جنوب الصحراء
ISLAM AND PEACEFUL COEXISTENCE IN SUB-SAHARAN AFRICA

Dr Ahmadou Sardawna, Universty of Garoua – Cameroon-
Department of Foreign Languages- Arabic-
Email:assahwa2000@gmail.com
WhatsApp: +237675326241

Abstract:

Religion, although it is today at the center of the most sensitive issues to be addressed in our societies, we find ourselves obliged to approach it – in spite of ourselves – and to analyze it in order to lift the veil on the intolerance that is experienced in the name of religions. By intolerance, we mean, "the attitude displayed by an individual, or by a group of people who tends to deny others the right to have opinions and convictions different from their own, while seeking to prevent, including by force, any manifestation of this right.

Islam, today is singled out indiscriminately on the question of peaceful coexistence and intolerance, on its relationships with others, on its ideologies, and its religious convictions, and this because of the multiple conflicts that bear his name in the world and likewise in sub-Saharan Africa. The objective of this present study is to enlighten us on the countless criticisms levelled at Islam on the question of peaceful coexistence with atheists, polytheists, Christians and Jews throughout its history.

Keywords: Islam – Sub-Saharan Africa – Peaceful coexistence – Intolerance-fombina

الخلاصة:

تختلف الآراء في قضية التعايش السلمي المراد تحقيقها بين بني البشر على اختلاف ألسنتهم وألوانهم وبلادهم ودياناتهم اختلافا بينا؛ فقائل يزعم أن العنف والاعتداء على الآخر راجع إلى بعض معتقدات الناس وأديانهم؛ ولا يبرؤون في هذا الباب دينا ولا معتقدا!؛ وقائل آخر يرى: أن الديانات على اختلاف مشاربها بريئة من العنف فهي تدعو إلى الود والسلم والوئام، وإن ما نشاهده من هدر الدماء بين العمائم واللحى تحت ألوية شعائرها الدين دسيسة قصدت من ورائها تشويه صورة الدين لا غير. وقائل ثالث يتعمق في الظاهرة قائلا: إن ما يعاني منه المجتمع البشري اليوم من تصاعد العنف والشدة في علاقاتها مع الدين مكائد من أيدي خبيثة تريد إشباع مصالحها الشخصية أو السياسية أو

الاجتماعية من وراء ستار ظاهره الدين وباطنه مصالح؛ ولا يمكن معرفة حقيقة الأمر إلا بتتبع آثار تلك الأيدي المخفية من وراء الستار.

رغم تباين الرؤى واختلاف الآراء تجاه هذه المسألة الحساسة، - التي يتجنبها كثير من الباحثين- تجد أن الدين الإسلامي من أكثر الديانات والمعتقدات تعرضا للنقد والتهمة في قضية التعايش السلمي من بين الأديان كلها في هذا العصر؛ وذلك لما يشاهد من خلال ما يقوم به بعض الحركات الإسلامية وأحزابها في العالم عامة وفي منطقة جنوب الصحراء خاصة باسم الاسلام.

الكلمات المفتاحية: الإسلام - منطقة جنوب الصحراء- التعايش السلمي – العنف – منطقة فومبينا

المحور الأول: الحذر من الآخر باعث من بواعث العنف في العلاقات الدينية:

شاعت مقولة شنيعة بين كثير من الناس بأن التعايش السلمي في أرض الإسلام بات اليوم منعدما فلا سِلم، ولا وُد، ولا حُسن العِشرة في أرض الإسلام، وذلك لما يشاهد من هنا ومن هنالك من هدر الدماء وقطع الصلات وتشريد الأسر من وراء ألوية مرفوعة باسم الإسلام.

استجابة للحاجة الملحة، تعينت على الهيئات العلمية والباحثين المنصفين القيام بتوعية رأي العام في هذا الموضوع وذاك ببيان هدى الإسلام وفلسفته في مسألة التعايش السلمي بين بني البشر الذي جعل الحليم حيرانا. دعت جامعة مودبو آدما – مشكورة- الباحثين من جهات مختلفة ومن منطلقات متباينة إلى مناقشة الموضوع من جميع جوانبه لأجل الخروج بنتائج مرضية هدفها تصحيح المفاهيم و توعية الرأي العام.

هذه المناسبة الكريمة، سمحت لي بإعداد هذه الورقة المتواضعة في هذا اللقاء التاريخي بغية أن تساهم – بإذن الله تعالى - في إيجاد حل للظاهرة التي ينكرها الفطرة السليمة فضلا من الدين الحنيف.

نظرا لعظم الموضوع، تعين على الباحثين في مثل هذه الدراسة الحساسة العودة إلى أمهات مصادر تشريع الإسلام لمعرفة ما الصحيح الثابت من الملابسات والشبهات التي تثير القلق في المسألة. إن أمهات المصادر التي يمكن الرجوع إليها في هذا الشأن؛ القرآن الكريم في المقام الأول ثم صحيح السنة المطهرة في المقام الثاني ثم فقه السيرة النبوية العطرة ليتمكن الباحث– بإذن الله تعالى - من تلبية حاجة المجتمع في هذا الموضوع الحساس.

تقوم علاقة الإنسان بالآخر أو علاقة أهل ديانة معينة بدين ما، أو بأديان أخرى في مفهوم الإسلام وفلسفته على أسس فطرية سليمة هي: التسامح والإخاء رغم الاختلافات والتعدد؛ وذاك لأن معيار العلاقات في مفهوم الإسلام وفلسفته قائم على نظريات عديدة، غير أن أهم ما يمكن أن نستهل به هذا الموضوع ما يلي:

أولا: الهداية إلى الإسلام من عند الله تعالى وألا تفاضل بين الناس إلا بالتقوى

ثانيا: ألا إكراه في الدين بعد أن تبين الرشد من الغي

ثالثا: لا استبداد للناس في الإسلام بعد أن ولدتهم أمهاتهم أحرارا

ذكر القرآن الكريم النظريات التي تقوم عليها الفكر الإسلامي و فلسفته في علاقاته مع الاخر في آيات عديدة ويكفيك أن تسمع إلى بعضها قال تعالى: (وَلَوۡ شاء رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةٗۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡۗ [1]) ثم إلى قوله جل شأنه: (وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ[2]) وفي مكان آخر تجد قوله تعالى:(ليس عليك هدىهم ولكن الله يهدي من يشاء .([3]

ومن هنا يتبين لك بأن علاقة الإنسان بالآخر في الفكر الإسلامي وفلسفته مبني على الاعتراف المسبق بوجود الاختلافات الجوهرية بين الناس وأن التعددية الدينية وضع أزلي لا مفر ولا منجى منه؛ لذا فإن مسألة الاختلاف مع الآخر في الرأي واللون والدين حتمية الحدوث قضى بموجب وقوعها رب الأرض والسماء؛ وله في ذلك حكمة بالغة.

هذه المشاركة المتواضعة بعنوان: الإسلام وقضية التعايش السلمي في منطقة جنوب الصحراء، في هذا اللقاء التاريخي تسعى لإثبات: أن الحذر من الآخر في مجال العلاقات الدينية من أكبر مسببات العنف ومبرراته؛ فهو المفسر للعنف والإرعاب الذي نشاهده بين الملل في هذا العصر؛ ولا أغالي حين أقول بأنه: من أكبر مبررات السالكين لمسالك العنف الشنيع الذي نعيشه.

ويتمثل الحذر من الآخر في الحرص على هيمنة القديم وإبقاء الأمر على ما هو عليه دون تغيير أو تبديل سواء كان الأمر عادة أو سلوكا أو دينا، ثم الخوف من الجديد وما قد يأتي به الجديد في المعتقدات والأفكار والأعمال. هذا الحرص يجعل القديم في حذر شديد من أمره فيرفض الجديد رفضا منكرا، فيستبعده ويسد طريقه، ويحاصره وقد يدفعه حذره ورفضه – هذا- إلى الخروج على المعتاد فيستعمل القوة والسلطة لمنع الآخر من التصرف والدفاع عن نفسه فيرتكب أثناء استخدام القوة والسلطة على الآخر جرائر فوقهن جرائر كراهية الإشراك في السيادة والهيمنة.

هذا الحذر المسبب للعنف في العلاقات الدينية حاضر – بلا مراء- وهو الذي يدفع الأول، أي: القديم، إلى أن يحتاط كل الحيطة في علاقته مع الآخر، معتقدا بأن حضور الجديد في أرضه أو ساحة مملكته القديم؛ يعني تنازله من سيادته الكلية ومن هيمنته المطلقة ليكون شريك الآخر في الساحة. فيكون منطق القديم تجاه هذا الموقف رفض هذا التنازل بأي ثمن كان؛ لأن قبوله للآخر يقتضي قبول الشريك والند وهو يعني التنازل عن الهيمنة

[1] هود 118- 119
[2] يونس 99
[3] البقرة 282

المطلقة ومن ثم يتولد من هذا الرفض عنفا شديدا يضيع منه التسامح والعيش السلمي المراد تحقيقه بين بني البشر.

ينبغي التنبه في هذا المقام بأن الدين أصل وداد الناس كلهم عربا كانوا أو عجما، وأن الإنسان بفطرته السليمة بعيد كل البعد عن الظلم والاعتداء على الغير فهو اجتماعي بطبعه، مسالم بفطرته، أخوي في علاقاته عاطفي في سعيه ما لم يتأثر بعامل خارجي صارف عن هذا المسار.

أما الاعتداء والعنف المشاهد اليوم فهو جار وفقا للتأثير الخارجي المخالف للفطرة الإنسانية التي جبل الخلائق عليها لذا يشتد إنكار الناس وغضبهم لهذه الظاهرة التي تقع بين الناس إذا كانت شعارها الدين.

يعرف مصطلح التعايش السلمي من بين مصطلحات العصر على أن: كلمة التعايش على وزن التفاعل فهي بذلك تفيد إثبات وجود علاقة متبادلة بين طرفين مختلفين؛ وأن السلم والتسامح ضد الحرب والاعتداء على الغير.

انطلاقا من هذا أقول: بأن التعايش السلمي عبارة عن نمط من أنماط الحياة السليمة التي تكون بين طرفين أو أكثر في جو بعيد عن الصراعات الدينية والسياسية والاجتماعية ونحوها.

أصبح هذا النمط الحياتي المشار إليه أعلاه مطلبا إنسانيا وسعيا دوليا، بل صار المثل الأعلى في الإدارات له قيمته وخطره في الحياة، مما جعلت السياسات تجعله معيارا للجودة الإدارية التي يجب تحقيقيها في حياة الفرد والجماعة وفي سياسة الدول؛ ومن ثم تقوم – هذه السياسات- بمحاربة كل نمط حياتي يتخلله نزاع أو عداء بين طرفين أو أكثر. يسعى الموضوع الذي بين أيدينا إلى معالجة نوع من أنماط الحياة المتمثل في تجربة الإسلام في علاقاته مع الآخر في موضوع التعايش السلمي من خلال نظرياته وأفكاره وفلسفته مع مقارنة بما يحدث في أرض الواقع باسمه.

بدأت قصة الحذر من الآخر في علاقات الإسلام مع غيره في مكة المكرمة لما أظهرت الديانة الوثنية حذرها من الجديد الذي أتي به الإسلام في أرضها؛ حيث حاربت الوثنية الدين الجديد في أرض هيمنتها حربا لا تعرف الرحمة، ولا الهوادة، ولا اللين لا كتناف الإسلام على أمر جديد لا تعرفه قريش ولا تعرفه عرب الجزيرة الذين طال عهدهم في عبادة الأصنام. الأمر الذي حملهم على محاربة كل أمر جديد يسعى إلى تغيير ما وجدوا آباءهم عليه خوفا من الجديد وحذرا من أن يبدل الجديد دينهم فضلا أن يسفه الجديد أحلامهم.

هذا جانب من جوانب التصور الفكري المستشعر منه في الوهلة الأولى عندما التقى الديانة الوثنية بدين جديد في أرضها؛ وعند الوقوف على بعض المواقف العملية في الحياة بين الوثنية والإسلام يتبين الأمر جليا للناظرين.

وعند العودة إلى جانب الإسلام؛ الدين الجديد الذي جاء في أرض سادت فيها عبادة الأصنام وهيمنت عليه، تجد أن الحذر من الآخر حاضر – أيضا- سواء كان الحذر حذر اصطدام بالآخر منذ الوهلة الأولى، أو حذر الاحتياط الذي يتطلبه الانطلاق السليم أثناء تقديم الرسالة الجديدة إلى الناس.

لعل الحذر من الآخر – المشار إليه أعلاه- من جانب الإسلام كان أكثر حضورا واستشعارا في علاقته مع الآخر في أول أيامه قبل أن يختفي منه، وما الدعوة السرية التي التجأ إليها النبي عليه السلام في دعوة الناس إلى دينه الجديد إلا صورة من صور الحذر من الآخر. فهي في نظري نوع من أنواع الحذر والاحتياط ونوع من أنواع التحكم في الأمر؛ لذا أقول بأن هذا الانطلاق السري في مسيرة الدعوة الإسلامية في أول أيامه متسبب من الحذر في علاقة الإسلام بالآخر.

سلك الرسول عليه السلام هذا المسلك الحذر من خلال ثلاث سنوات لكون الدعوة الجديدة واقعة داخل بيئة سادت فيها عبادة الأصنام وهيمنت اعتقاداتها على العقول وأخذت بمجامع القلوب والأفئدة، وكان آخر عهد أهل مكة بالدين السماوي – بعيد-، إذ يعود إلى زمن نبي الله إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام. هذا ما دفع النبي عليه السلام إلى اتخاذ الحذر في انطلاقه الأول، فأخذ ينتخب من الناس الثقة الثقة؛ فكان لا يدعو إلى دينه الجديد إلا من كان يلتمس فيه الخير في شيئين؛ في استجابته إلى الدعوة الجديدة أو في كتمان أمره على الناس حين الرفض. سلك هذا المسلك الحكيم لعله – بإذن الله تعالى- أن يقيه من الاصطدام بالآخر في طريقه إلى تعليم حقائق التوحيد المنافي للشرك في أول أيام دعوته.

فمن خلال هذا المسعى الحكيم تتجلى لنا صور الحذر من الآخر في العلاقات الدينية حيث جعل – عليه السلام-دعوته السرية محصورة في أهل بيته: زوجته وأولاده وأهل بيته؛ خديجة بنت الخويلد، علي بن أبي طالب و زيد بن الحارث في المقام الأول، ثم عند أصدقائه الأوفياء؛ أبوبكر الصديق ومن ثم تم اختيار دار الأرقم بن أبي الأرقم مقرا للالتقاء السري بين أهل الديانة الجديدة في مكة المكرمة.

تمضي ثلاث سنوات من الدعوة السرية بمكة المكرمة بهذا الحذر بدون أن تلفت أنظار الناس إلى شيء من أمرها؛ غير أنه في يوم من الأيام أمر الله تعالى نبيه بالجهر بدينه لأنه – تعالى- أراد أن يكون دينه رحمة للعالمين فلم يحصره في قوم دون قوم فقال جل شأنه:(وَقُلۡ إِنِّيٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلۡمُبِينُ[4]) ثم قال: (فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ[5]). امتثل النبي عليه السلام أمر ربه ودعا قريشا بأسماء بطونها دعوة الجفلى، فلما حضروا صعد النبي عليه السلام جبل الصفا لأجل أن يسمعهم النبأ؛ فقال:

[4] الحجر 89
[5] الحجر 94

- أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادي تريد أن تغير عليكم، أكنتم مصدقي؟
- قالوا: نعم، ما جربنا عليك كذبا.
- قال: إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد.
- فقال أبو لهب: تبا لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا)(الصلابي، 2001م:70).

بهذا الحدث الجلل افتتحت صفحة جديدة من صفحات العلاقات الدينية بين الإسلام والوثنية في هذا اليوم الأغر عبر هذه الكلمات اليسيرة لو أراد الإنسان أن يعد حروفها عدا، غير أنها ثقلت على العقول والضمائر ثقل الجبال الراسيات حتى وكأن الناس لم يشهدوا وقعة ثقلت عليهم حملها في أيامهم مثل هذه الوقعة.

أشير هنا بأن المقام لم يسمح للداعي والمدعوين لأكثر من هذا الوقت اليسير، ولم تسمح الظروف للحاضرين أيضا من السؤال عن هذا الدين الجديد ما هو؟ وما مصدره؟ مع بلاغة العرب وحبها للكلام! ولم يتصد للكلام سوى رجل واحد؛ أبو لهب سيد من سادات قريش وقال قولته المشهورة بل الشنيعة أمام المشهد، ثم انفض الجمع في سكوت وهدوء وتفكر وذهب كل بطن من بطون قريش إلى شعبه حاملا هذا الخبر ومنتظرا ما يخبئ الغد وما قد يأتي به الأيام من جديد. وكأن كل واحد منهم كان يقول في نفسه: أ دين جديد في مكة المكرمة يخالف دين عبد المطلب؟ دين جديد لم يعرفه العرب من قبل! دين على يد رجل من بني هاشم! دين يكفر بالآلهة كلهآ! دين يكفر بالعزى واللات ومن كل صنم يعبد من دون الله !

أسئلة كثيرة تتولد في العقول وتجيش في الصدور في آن واحد، وتدفع بعضها البعض لتخرس الألسنة لهولها فلا يجد الإنسان شيئا يقوله لاسيما إذا قورن الخبر بالتصريح الذي أبداه أبو لهب أمام المشهد تجاه الدعوة الجديدة.

دين جديد في مكة المكرمة تخالف دين عبد المطلب وما ورثه عبد المطلب لأبنائه بل لجميع العرب! أمر مذهل لا يمكن تصديقه بهذه السهولة، غير أنه هو الواقع الذي أصبح الناس عليه في مكة المكرمة اليوم ولعله هو الحاصل غدا، ومن يدري!

الحدث الذي بين أيدينا تمثل أول اتصال حقيقي في الواقع المعاش بين الإسلام والوثنية في أرضها ومملكتها التي لم تعرف سميا ولا ندا؛ فهي المواجهة الأولى من نوعها منذ أن بعث الله نبيه عليه السلام إلى الناس كافة. ومن خلال التتبع للانطلاق الجهري للإسلام سنجد نماذج أخرى لصورة الحذر من الآخر في العلاقات الدينية بين الإسلام والوثنية.

جاء رد الفعل الحذر من جهة الديانة الوثنية قويا عنيفا وذلك لكراهية الاعتراف بالآخر المؤدي إلى الاشراك في السيادة والهيمنة، جاء هذا الرد على يد رجل واحد من قريش – أبو لهب- ولم يكن ممثلا روحيا للديانة الوثنية في مكة المكرمة.؛ لأن عبادة الأصنام عند قرش وعند العرب عامة في أرض الجزيرة كانت في صورتها البدائية لم تصل إلى مرحلة النضج

والعلم بالقواعد والأخذ بالشرائع المحكمة التي تجري تحت رقابة مرشد روحي أو تحت رقابة الالتزام بما جاء في كتاب مدون. وإنما كانوا يعبدون الالهة على السجية النفسية فكل فرد على حاله وكل قبيلة على سجيتها ما عدا شعيرة الحج التي كانت تجمع عبدة الأصنام في مكان واحد من خلال فترة زمنة معروفة، وما كان منهم من تقديم القربات للآلهة والنذر لها بين حين وآخر.

رسالة الإنذار التي ألقاها أبو لهب في المناسبة لم تكن أقل خطرا وأقل شأنا من النبأ المسموع على جبل الصفا من فيه – عليه السلام-. الإنذار من الدين الجديد كان واضحا في مضمون خطاب أبي لهب لكل من حدثه نفسه بالالتحاق بالركب الجديد ليعلم الجميع أن هناك حراس ومدافعون عن دين قريش وعن آلهتها فلا خير في تعصب قبلي لا يدافع عن دين عبد المطلب بل دين الآباء جميعا لذا اندفع أبو لهب متحمسا ومتوعدا لكل دين يخالف دين قريش.

ابتداء من الآن فصاعدا ما كان للنبي عليه السلام أن يتوقف عن الجهر بالدعوة في مكة المكرمة وإن كلفه كل غال ونفيس بل كان يتطلب منه أن يجاهر بها في مكة و في كل مكان امتثالا لأمر ربه لذا كان عليه أن يدعو - بني هاشم - عشيرته- إلى الدين الجديد وكان عليه أن يقابلهم ليعلم أمره فيهم، وليعلم مسيره من بينهم لاسيما فيما يتعلق بحق الحماية والدفاع تجاه ما جاء به نظرا لما قد يأتي به الأحداث في مستقبل الأيام.

هذا لأن النظام القبلي السائد في ذلك الوقت كان يعطي الحماية لكل فرد من أفرادها سواء كان الفرد ظالما أم مظلوما يقول شاعرهم:

لا يسألون أخاهم حين يندبهم في النائبات على ما قال برهانا

إن أول ما فعل رسول الله ﷺ بعد نزول هذه الآية (وأنذر عشيرتك الأقربين) هو دعوة بني هاشم-إلي أن يسمعوا منه- فحضروا ومعهم نفر من بني عبد المطلب بن عبد مناف، فكانوا خمسة وأربعين رجلا، بينما كان النبي عليه السلام يتهيأ لبيان المراد بدعوته، فإذا بأبي لهب يبادره بالكلام قائلا: (هؤلاء هم عمومتك وبنو عمك فتكلم ودع الصباة...

واعلم أنه ليس لقومك بالعرب قاطبة طاقة [6] ..... إلى أن قال: فما رأيت أحداً جاء على بني أبيه بشر مما جئت به) (الصلابي، 2001م: 95)، فسكت رسول الله ﷺ ولم يتكلم في ذلك المجلس.

إن حذر الاعتراف بالآخر المؤدي للإشراك في السيادة الدينية والهيمنة على الخلائق دفع أبو لهب إلى المبادرة في الكلام ليقول ما سمعته الآذان، ومن جانب آخر تجد أن حذر

[6]لهب وقال: هؤلاء هم عمومتك وبنو عمك فتكلم ودع الصباة.
واعلم أنه ليس لقومك بالعرب قاطبة طاقة، وأنا أحق من أخذك فحسبك بنو أبيك، وإن أقمت على ما أنت عليه فهو أيسر عليهم من أنت عليه فهو أيسر عليهم من أن يثب بك بطون قريش، وتمدهم العرب، فما رأيت أحداً جاء على بني أبيه بشر مما جئت به، فسكت رسول الله ﷺ ولم يتكلم في ذلك المجلس

الاصطدام بالآخر دفع النبي عليه السلام إلى السكوت فكلا الموقفين يترجمان لنا الحذر الموجود في باب العلاقات الدينية التي أشرت إليه في هذا المحور.

أعاد النبي عليه السلام دعوة عشيرته الأقربين امتثالا لأمر ربه سبحانه و تعالى و لما حضروا قال :[7] الحمد الله أحمده وأستعين به، وأومن به وأتوكل عليه... ثم قال: إن الرائد لا يكذب أهله والله الذي لا إله إلا هو، إني رسول الله إليكم خاصة، وإلى الناس عامة...

فقال أبو طالب: ما أحب إلينا معاونتك، وأقبلنا لنصيحتك، وأشد تصديقنا لحديثك، وهؤلاء بنو أبيك مجتمعون، وإنما أنا أحدهم غير أني أسرعهم إلى ما تحب، فامض لما أمرت به، فوالله لا أزال أحوطك وأمنعك، غير أن نفسي لا تطاوعني على فراق دين عبد المطلب) (الصلابي، 2001م: 105).

هذا اللقاء يعتبر من ضمن اللقاءات الفريدة في دائرة العلاقة بين الدين الجديد والدين القديم الذي وقع بين أبناء القرابة والدم؛ فهو كفيل بأن يترجم لنا صورة العلاقات الدينية الذي أخذنا نتحدث عنها منذ حين. فهو لقاء يصدق ما ذهبنا إليه من خلال هذه الورقة المتواضعة بأن الحذر المفرط من الآخر في العلاقات الدينية يسبب عنفا وشدة يضيع من خلاله التعايش السلمي والتسامح الديني المراد تحقيقه بين بني البشر.

تحدث في هذا اللقاء المسيري ثلاثة أنفار يمثل كل واحد منهم رأيا واتجاها وسلوكا في طبيعة العلاقة بين الأديان منذ ذلك اليوم إلى يومنا هذا؛ صاحب الدعوة وسيدان من سادات بني هاشم؛ هما أبو طالب وأبو لهب-.

المتحدث الأول في هذا اللقاء المسيري هو صاحب الدعوة الجديدة؛ وقد سمعنا مقولته وسمع الحاضرون مراده؛ حيث أراد أن يبين لقومه بأن حياته ابتداء من الآن فصاعدا ستكون غير حياته الأولى معهم؛ وأنه من الآن فصاعدا رسول الله إليهم خاصة وإلى الناس كافة، وأن تبليغ رسالات الله تعالى هو دوره فيهم حتى يظهره الله تعالى أو يهلك دونه. ولن يتراجع عن هذا المبدأ أبدا، وأن لعشيرته وقومه أن يناصروه إذا رأوا ذلك ليكونوا أسعد الناس به وبدينه لذلك اختصهم بهذا اللقاء من دون الناس. وقال لهم: (الرائد لا يكذب أهله، إني رسول الله إليكم خاصة وإلى الناس عامة)، وأن نظام القبيلة التي صار الناس عليه منذ القديم عن قريب ستزول لأنه مبعوث إلى الناس كافة.

[7] الحمد الله أحمده، وأستعين به، وأومن به وأتوكل عليه. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له
ثم قال: إن الرائد لا يكذب أهله والله الذي لا إله إلا هو، إني رسول الله إليكم خاصة، وإلى الناس عامة، والله لتموتن كما تنامون، ولتبعثن كما تستيقظون، ولتحاسبن بما تعملون، وإنها الجنة أبدا أو النار أبداً».
فقال أبو طالب: ما أحب إلينا معاونتك، وأقبلنا لنصيحتك، وأشد تصديقنا لحديثك، وهؤلاء بنو أبيك مجتمعون، وإنما أنا أحدهم غير أني أسرعهم إلى ما تحب، فامض لما أمرت به.
فوالله لا أزال أحوطك وأمنعك، غير أن نفسي لا تطاوعني على فراق دين عبد المطلب.
فقال أبو لهب: هذه والله السوأة، خذوا على يديه قبل أن يأخذ غيركم، فقال أبو طالب: والله لنمنعه ما بقينا)

المتحدث الثاني في هذا اللقاء هو سيد بني هاشم – أبو طالب- سيد قرش بل سيد العرب قاطبة أصغي للخطاب الذي وجه إليه –هو- وإلى عشيرته، فسمع الخطاب ووعاه ثم عبر عن رأيه وعن موقفه من الدين الجديد.

لا يجد أبو طالب في هذا الدين الجديد الذي دُعي إليه خطورة يدفع إلى الخوف والحذر المبالغ فيه، الذي أخذ بعض الناس يتصورونه فيه؛ ما دام صاحب الدين الجديد رجل معروف حسبه ونسبه، وهو فريد قومه في الصدق والأمانة. إن الأمر كله عبارة عن دين جديد ظهر في مكة بجانب دين قريش لذا يمنحه حق الوجود بجانب دين قريش، ويمنح صاحب الدين حق الحماية لأنه فرد من أفراد القبيلة.

يتمنى أبو طالب – لو كان الأمر بالتمني- أن يستجيب بنو هاشم إلى الدعوة الجديدة من أول الوهلة عن بكرة أبيهم غير أنه لا يحملهم على ما قد يكرهونه.

و في الختام عبر أبو طالب عن موقفه الخاص تجاه الدين الجديد مخاطبا قومه و صاحب الدين على السواء قائلا: " إن نفسي لا تطاوعني مفارقة دين عبد المطلب".

يعتبر هذا الموقف موقفا مثاليا انبعث من الفطرة السليمة التي تجردت عن كل هوى وعن كل أثر خارجي صارف لتعبر بوضوح: بأن الأصل في الفطرة البشرية التي فطر الناس عليها مصبوغة بالود والسماحة والتعايش السليم وأن الاختلاف في الدين لا يغير هذا الأصل وإن ما نراه اليوم من مخالفات لهذا الأصل ناتج عن تأثير خارجي يراد من وراءها تحقيق مصالح شخصية سترت بستار عليها وسمة الدين.

المتحدث الثالث في هذا اللقاء هو أبو لهب الذي علق على كلام أبي طالب بهذه الكلمات (هذه والله السوأة خذوا على يديه قبل أن يأخذه غيركم) ، التقينا به أكثر من مرة غير أنه اليوم أكثر حذرا وأكثر خوفا للدين الجديد الذي بدأ يُسمِع الناس صوته، ويعرض عليهم سلعته، و رغم حداثته استطاع أن يجد أذنا صاغية تمنحه الحماية التامة انطلاقا من العلاقة القبلية الدموية الذي ينصر الظالم و المظلوم على السواء؛ و أن كل ذلك تم من خلال لقاء واحد فقط ؛ فما بالك لو وجد الدين الجديد فرصة أخرى لعرض منهجه و فكره للناس ! هذا ما لا يريده أبو لهب و كل من يسلك مسلك العنف والجبروت في العلاقات الدينية.

عند عودتنا إلى السيدين – مرة أخرى- نجد أن سيادة أبي لهب في مكة المكرمة و في قريش لم يكن أكبر شأنا و لا أعظم قدرا من سيادة أبي طالب و لم يكن حبه و تمسكه بدين عبد المطلب أكثر من تمسك أبي طالب. غير أننا نجد الأول يَسمع و يُصغي و يمنح ما عنده من غال و نفيس، يعطي حمايته لصاحب الدعوة الجديدة استجابة للفطرة السليمة التي تمركزت فيه. وأن الثاني على خلاف نظيره الذي ينكر الجديد بل يحذر منه و يسد الطريق أمام الحوار و المناقشة و يسعى إلى محاربته بكل ما عنده من قوة استجابة لتأثير الهوى والتعصب للقديم.

إن من يتتبع مسيرة الدعوة الإسلامية منذ ذلك اليوم إلى أن تم له النصر يوم فتح مكة المكرمة ليجدن أن علاقته بالدين الوثني لم يخرج من هذين الحالتين.

الحالة الأولى؛ حالة القبول والاعتراف والعيش السليم رغم الاختلافات، كما رأينا عند أبي طالب، و الحالة الثانية؛ حالة الإنكار والمحاربة المنبعثة من عوامل خارجية: الذي يمكن التعبير عنها بالنفس والهوى والقَبلِية؛ كما هو الحال عند أبي لهب وكل من اقتفى أثره كأم جميل حمالة الحطب وأبو جهل، وأمية بن خلف وعتبة بن ربيعة وغيرهم من صناديد قريش.

لقي الدين الجديد على أيدي الصنف الثاني – المذكور أعلاه- أنواعا من العذاب وصورا من الخناق والحصار والسد مدة إقامته في مكة المكرمة، وذلك على خلاف عادة العرب وخصال القريشيين سكان بيت الله الحرام ومن ثم أخذ الإسلام في البحث عن موضع آخر يسمح له ولأتباعه من ممارسة شعائره التعبدية في أمن و أمان؛ و كانت نتيجة البحث هجرة المسلمين الأولى و الثانية إلى الحبشة ثم هجرتهم إلى المدينة المنورة.

المحور الثاني: التعايش السلمي في الإسلام بين النظرية والواقع

أظهر الإسلام للناس فلسفته وفكره في مسألة التعايش السلمي – جليا- بعد هجرة النبي عليه السلام إلى المدينة المنورة وذلك من خلال قواعد ونظريات تشريعية ومن خلال صور تطبيقية في الواقع المعاش بين المسلمين وغيرهم من أهل الديانات.

ففي أرض المدينة المنورة رفع الإسلام للناس رايته على أنه دين ودولة، وأعلن للعامة والخاصة شريعته في المعتقدات والعبادات والمعاملات، وبين منهاجه في السلم والجهاد، وحدد هويته بين المعتقدات والأديان؛ سعيا لتحقيق هذا الهدف النبيل راسل النبي عليه السلام – كسرى و قيصر و هرقل – و غيرهم من ملوك الأرض برسالات الإسلام، و هو ما سمح للقاصي و الداني أن يتعرف على الدين الجديد و الدولة الجديدة في ذاتها و في علاقاتها مع الآخر.

و جب أن نشير هنا بأن الإسلام وجد في المدينة المنورة مجتمعا غير المجتمع الذي ألفه في مكة المكرمة ؛ وجد قبائل من عرب و من يهود و على رأس تلك القبائل العربية؛ الأوس والخزرج: بعضهم دخلوا في الإسلام و بعضهم بقوا على عبادة الأصنام لحين إسلامهم، وبجانبهم قبائل اليهود، أبرزهم بنو قينقاع و بنو النضير و بنو قريظة؛ استوطنت – هذه القبائل اليهودية- يثرب منذ زمن قديم فكانت لهم وزنهم و ثقلهم في الحياة العامة و الخاصة، ثم جاء النبي عليه السلام بأصحابه المهاجرين من مكة المكرمة لينضموا إلى هذا المجتمع المختلف في كيانه القبلي، و المختلف في كيانه الديني، ليبدأ تجربة الإسلام

الحقيقية في فن التعايش مع الغير سواء كان هذا الآخر على الوثنية أم كان على اليهودية، أو المسيحية أو كان هذا الآخر بلا معتقد.

الحياة الاجتماعية والدينية في المدينة المنورة – كما أشرنا من قبل- غير الحياة في مكة المكرمة؛ حيث وجد الإسلام في المدينة المنورة أديانا مختلفا ومجتمعا متعدد الجنس والثقافة، وهي بذلك تختلف عن مكة المكرمة –صاحبة قريش- بدينها الوحيد، ففي الأسواق والنوادي تجد اليهود يتحدثون بالعربية وإن علقت بألسنتهم بعض أصوات العبرانية وأبت أن تفارقهم، وأن بعض القبائل العربية دخلت في اليهودية من طيب نفسها أو عبر مصاهرتهم لليهود حتى أخذت تقرأ التوراة و تدين باليهودية. الأراضي الخصبة في يثرب جعل أهلها يشتغلون بالزراعة بجانب تربية المواشي ورعي الإبل حتى أصبح لتمر المدينة مزية خاصة بين التمور.

تحتل المرأة مكانة مرموقة في المجتمع في يثرب فهي خليفة الرجل في بيته وعضده في معارك الحياة خصصت لنفسها القيام ببعض الخدمات في بيت زوجها، كما أنابت في بعضها الجواري والخدم؛ ففي الخلاصة أقول بأن المجتمع في المدينة متعدد الجنس والدين والثقافة.

و لأجل مراعاة مصالح المجتمع المختلف في تكوينه الديني و الجنسي و النوعي في أرض يثرب، قام النبي عليه السلام، فور و صوله المدينة بكتابة وثيقة تضمن لكل طرف من أطراف المجتمع حريته والحياة الرغدة المنشودة؛ وهو ما يعرف عنه في كتب السير و التاريخ بوثيقة المدينة المنورة.

تعتبر تلك الوثيقة من أول ما أصدرته الدولة الإسلامية الجديدة من ميثاق وعهد لتبين للناس فلسفته في الإدارة والحكم وذلك في عام 622م.

يشكك بعض المستشرقين في مصداقية تلك الوثيقة لتشابهها بما يرى – اليوم- في أنظمة الدول الحديثة ولكن تواترها في جميع كتابات المؤرخين في عصر صدر الإسلام يرد عليهم زعمهم هذا.

اعترفت الوثيقة لكل طرف من أطراف المجتمع بوجوده في يثرب واعترفت له بدوره في الحياة وحملت كل فرد مسؤولية تجاه يثرب التي يعيش فيها، لذلك فرضت عليه حقوقا وواجبات مبينا للجميع بأن الغدر بشرط واحد مما نصت عليه الوثيقة وتعاهد عليها الناس من أكبر الجرائم.

تحدثت الوثيقة عن أمور حكمية وإدارية كثيرة أوصلها بعض المحللين إلى بضع وأربعين أمرا غير أن دراستنا ستكتفي بما ورد فيها من الأحكام العامة التي تصف حقوق المسلمين وواجباتهم، وما يتعلق بنظم العلاقات بين المسلمين واليهود والمشركين، ثم بما يتعلق بالأحكام التي تشمل المصالح العامة في المدينة المنورة:

و إليك بعض ما ورد في الوثيقة المتعلق بحقوق المسلمين و واجباتهم؛

- (هذا كتاب من محمد النبي ﷺ بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم، أنهم أمة واحدة من دون الناس،
- وإن المؤمنين المتقين (أيديهم) على (كل) من بغى منهم أو ابتغى دسيعة ظلم أو إثم أو عدوان أو فساد بين المؤمنين، وأن أيديهم عليه جميعاً، ولو كان ولد أحدهم
- ولا يقتل مؤمن مؤمنا بكافر ولا ينصر كافر على مؤمن
- وإن سلم المؤمنين واحدة، لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله إلا على سواء وعدل بينهم
- إن المؤمنين لا يتركون مفرحا بينهم أن يعطوهم في فداء أو عقل) (حسن إبراهيم حسن،1991م:78).

و إليك ما ورد من الأحكام المتعلقة باليهود

- لليهود دينهم وللمسلمين دينهم، إلا من ظلم وأثم فإنه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته
- وإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين،
- وإن على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم
- وإنه من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم.
- وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين
- وإن على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم، وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة وإن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم(حسن إبراهيم حسن،1991م:78).

وإليك ما ورد من الأحكام المتعلقة بالمصالح العامة في المدينة المنورة

- كل ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حديث أو اشتجار يخاف فساده، فإن مرده إلى الله -عز وجل - وإلى محمد رسول الله
- إنه لا تجار قريش ولا من نصرها
- وإنه لا يحل لمؤمن أقر بما في الصحيفة، وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثًا أو يؤويه، وإن من نصره أو آواه ، فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل. (حسن إبراهيم حسن،1991م:78).

إنه بالنظر المتأمل إلى هذه العقود المختلفة تجد بأن الوثيقة التي أصدرتها الدولة الإسلامية في المدينة المنورة في أول تجربتها الإدارية تبين أنها – رغم حداثة عهدها بالإدارة والحكم- أنها ألقت النظرة الشمولية على كل ما تحيط بها من أحوال الناس وأجناسهم.

نظرت الوثيقة إلى سكان المدينة النظرة الشمولية بانهم عرب و يهود بعضهم مسلمون و بعضهم على اليهودية و بعضهم مشركون غير أن الأرض و المصالح المشتركة في الحياة تجمعهم.

هذا ما جعلت الوثيقة تتعدى الخوف من الآخر رغم الاختلاف في الجنس والدين واعتبرت – الآخر- جزءا فعالا من المجتمع و أنه لا حياة مستقرة و لا عيش هانئ إلا بالاعتراف بوجوده و دوره و من ثم وضع الحق له و الواجب عليه؛ بل تجاوزت الوثيقة هذا الحد فجعلت صنفا من – يهود بني عوف- في كفة المسلمين وأعطت لكل من أراد خيار انضمام التحالف إلى جماعة الإسلام مع بقائه على دينه و له في ذلك عهد و أمان.

إن من أهم ما نقرأ في الوثيقة –أيضا- اشتمالها على أحكام خاصة تصون المصالح المشتركة بين جميع الأطراف على حد سواء بدون تمييز في الدين أو الجنس؛ أذكر من ذلك مرد الحكم في الشجار الذي يخاف فساده – إن وقع- بين الأطراف المختلفة إلى حكم الله وحكم رسوله عليه السلام وأن على جميع سكان المدينة المشاركة بالنفس والمال في الدفاع عنها إن تعرضت للغزو الخارجي.

الوثيقة التي بين أيدينا تعطي للناظرين إلى فلسفة الإسلام وفكره التجربة النموذجية الأولى التي خاضها الدولة الجديدة في فن التعايش السلمي مع المشركين واليهود، باعتبارهما أول ديانة تتصل بالإسلام عند نشأة دولته في يثرب رغم الاختلاف في الدين والجنس، فأي نموذج أكبر من هذا النموذج في التعايش السلمي بين طرفين أو أكثر؟

الأحكام النظرية التشريعية التي وردت في الصحيفة تبين في المقام الأول هوية الإسلام وجماعة المسلمين -على أنهم أمة واحدة من دون الناس- غير أن رابطة الوحدة – اليوم- ليس الدم والقبيلة واللون وإنما الدين فقط لا غير.

إن هذه الجماعة الموحدة بوحدة الكلمة والدين وبوحدة المعبود تعترف بوجود الآخر وتقر له في أول وثيقة حكمية تصدرها وتعترف له بحرية ممارسة دينه في قولها – لليهود دينهم – ولا ترى ضيرا في أن تضم جماعة من غير المسلمين إليها رغم الاختلاف في الدين والجنس في قولها - وإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين- ثم تسمح لكل من أراد التحالف مع جماعة المسلمين أن يتقدم لذلك وله في ذلك عهد وميثاق- وإنه من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم-.

يستخلص مما ذكر بأن الإسلام بصبغته العالمية قد تعدى الخوف من الآخر الذي يؤدي بدوره السلبي إلى السطوة والجبروت واعترف بوجود الآخر أي: اليهود والمشركين في الساحة. وأقر بدورهم وبمشاركاتهم في الحياة اليومية، ومن ثم فرض عليهم حقوقا

وواجبات على أن الاختلاف ليس خلافا يمنع الود والتعايش السلمي المراد تحقيقه بين بني البشر.

ننتقل إلى تجربة أخرى للإسلام في قضية التعايش السلمي الذي وقع في العام التاسع الهجري، الموافق لعام 631م حيث أخذت الوفود من سائر أقطار الجزيرة العربية تفد إلي النبي عليه السلام مسلمة أو مسالمة له على شروط بينه وبينهم.

يذكر أهل السير والمغازي بأنه (لما تم فتح مكة وأسلمت هوازن وعاد النبي عليه السلام من تبوك وقد أظهر الله هيبة الإسلام تواردت عليه الوفود من كل جانب) (محمد أبو شهبة،1428هـ: ج2 ص 541). أتى إلى المدينة المنورة في ذلك العام ما يقارب سبعين وفدا ومن بين تلك الوفود نصارى نجران الذين أتوه ليجادلوه في مقولة بلغتهم عنه في نبي الله عيسى عليه السلام.

وكانت قوام الوفد النجراني يتكون من ستين رجلا [8] فدعاهم النبي عليه السلام إلى الإسلام فأبوا، و لكنهم أباحوا له ما جاءهم إليه قائلين: بلغنا أنك تشتم صاحبنا و تقول: إنه عبد الله! فأجابهم: أجل. هو عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول. فغضبوا...

فقالوا له: هل رأيت إنسانا خلق من غير أب؟ فسكت النبي عليه السلام يومه حتى أتاه الوحي فانزل الله تعالى: (إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ. ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ. فَمَنۡ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ فَقُلۡ تَعَالَوۡاْ نَدۡعُ أَبۡنَآءَنَا وَأَبۡنَآءَكُمۡ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمۡ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمۡ ثُمَّ نَبۡتَهِلۡ فَنَجۡعَل لَّعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰذِبِينَ)(محمد أبو شهبة،1428هـ:ج2 ص 541).

فلما أصبحوا أخبرهم النبي عليه السلام عن مقولته في عيسى بن مريم عليه السلام وحملهم على تصديق ما جاءهم من الحق من عند ربهم، فإن أبوا إقرار ما أخبرهم عنه لزمهم المباهلة فترك لهم النبي عليه السلام يومهم ليفكروا.

فلما كان الغد خرج إليهم بأهله أجمعين للمباهلة استجابة لأمر ربه سبحانه وتعالى: (وأقبل مشتملا على الحسن والحسين في حَمِيل له وفاطمة تمشي عند ظهره، فلما رأوا منه الجد والتهيؤ، خلوا وتشاوروا، فقال كل من العاقب والسيد للآخر: لا تفعل، فو الله لئن كان نبيا فلاعننا لا نفلح نحن، ولا عقبنا من بعدنا، فلا يبقى على وجه الأرض منا شعرة، ولا ظفر إلا هلك) (محمد أبو شهبة،1428هـ:ج2 ص 541).

[8] منهم أربعة وعشرون من الأشراف، فيهم ثلاثة كانت إليهم زعامة أهل نجران أحدهم: العاقب، كانت إليه الإمارة والحكومة، واسمه عبد المسيح والثاني: السيد كانت تحت إشرافه الأمور الثقافية والسياسية اسمه الأيهم أو شُرحبيل والثالث: الأسقف وكانت إليه الزعامة الدينية، والقيادة الروحانية) الرحيق المختوم

و ضع الله تعالى حدا فصلا للجدال بين نبيه ﷺ و نصارى نجران في نبي الله عيسى عليه السلام بالمباهلة التي أبى النجرانييون أن يستجيبوا لها لعلمهم بعاقبة الكذب على الله تعالى و من ثم لم يبق لهم إلا خيار واحد أ لا و هو: الجزية أو الحرب.

لما كانت نواياهم طيبة و فقهم الله تعالى لأيسر الأمرين فصالحوا النبي عليه السلام على الجزية فنتج من الصلح الذي اختاروه خيرا كثيرا و في هذا يقول أحدهم: (إنا نعطيك ما سألتنا فقبل رسول الله ﷺ منهم الجزية وصالحهم على ألفي حُلَّة؛ ألف في رجب، وألف في صفر، ومع كل حلة أوقية، وأعطاهم ذمة الله وذمة رسوله، وترك لهم الحرية الكاملة في دينهم، وكتب لهم بذلك كتابًا) (محمد أبو شهبة،1428هـ:ج2 ص 541).

قد يتساءل متسائل عن مخالفة طبيعة اتصال الإسلام بالنصرانية قانون العلاقات الدينية المعبر عنها في المحور السابق بالخوف من الآخر الذي رأيناه مع التجارب السابقة! لأن الاتصال بين نصارى نجران والإسلام بدأ بالحوار والمناقشة في مسألة عقدية بين النصرانية والإسلام بدون أي حذر مسبق؟ الجواب: في رأيي أن اتصال الإسلام بالنصرانية في عام الوفود لم يكن في مرته الأولى بل وقع قبله اتصالات عديدة وأدى تطور العلاقات عبر تلك الاتصالات إلى مستوى يسمح للمناقشة والجدل.

عند الرجوع إلى المصادر التاريخية نجد بأن اتصل الإسلام بالنصرانية في المرة الأولى كان تحت رعاية النجاشي عندما هاجر المسلمون من مكة فرارا بدينهم إلى الحبشة وهم يردون عن أنفسهم أذى قريش فأرسل قريش من يرد لهم أبناءهم إلى مكة المكرمة، فأبى النجاشي ذلك حتى يسمع من كلا الطرفين ما يقول، وتقرع الحجة بالحجة.

ثم جاء دور رسائل النبي عليه السلام إلى ملوك الأرض وكان للنجاشي خطابه من بين تلك الرسائل، هذه الاتصالات المسبقة أدت إلى إزالة الحجاب بين الجماعتين، وكأن كل جماعة اعترفت بوجود الآخر في الساحة الدينية غير أن مسألة جوهرية أقدمت نصارى النجران إلى المدينة المنورة. غير أن الوحي لم يترك للعقل مجالا للتفكير المؤدي إلى المناقشة و الجدل والقول في شأن نبي الله عيسى عليه السلام فقال جل شأنه (إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ. ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ.). ثم إن نصارى نجران آثروا الجزية على المباهلة والجهاد، فقبل النبي عليه ذلك منهم وكتب لهم عهدا وأمانا وأقرهم على دينهم.

نكتفي بذكر هذه النماذج الثلاث التي تعبر بصدق وأمانة عن تجربة الإسلام في مجال العلاقات الدينية مع المشركين واليهود والنصارى بما أوردناه من النظريات والشرائع وما تبعه من تطبيق عملي في الحياة اليومي في زمن النبي عليه السلام؛ لنكشف الغطاء الساتر للحق الذي يجعل الإسلام دين عنف وعداوة وحرب، قائلين بأن هذا ادعاء وزعم باطل. الإسلام بريء من كل لواء تسيل دما في مشارق الأرض ومغاربها باسمه وذلك بالاستناد على المصادر والنماذج التي تم الوقوف عليها من خلال تتبع الحياة اليومية لنبي الإسلام

ومن خلال تعاملاته مع الأطراف والأديان المختلفة في صفحات عديدة من السيرة النبوية العطرة. وإن ما ينقله وسائل الإعلام – عن الإسلام وعن الصور البشعة للتطرف والعنف والجبروت للقاصي والداني شرقا وغربا وهي ترعب البلاد وتشرد العباد وتبيد الأحرار والعبيد برفع رايات الانتماء إلى الإسلام فهو باطل.

وأعني في هذا المسار أيضا جماعة " بوكو حرام"[9] التي رفعت راية فيها اسم الإسلام في منطقة جنوب الصحراء بلا سلام و لا مؤاخاة بين بني البشر.

هذه الجماعة حولت منطقة جنوب الصحراء التي كانت آمنة مطمئنة إلى واحات الخوف والإرعاب باسم الإسلام فأراقت دماء بريئة من المسلمين والمسيحيين وغيرهم على حد سواء، وزعزعت أمن واستقرار المدن بين نيجيريا والنيجر وتشاد والكاميرون بلا مبرر، وأكسدت الأسواق والنماء الاقتصادي بين البلدان وأبادت الأسر ودمرت المدن وقتلت الرجال والنساء والولدان بلا ذنب وهي تنصب نفسها إلى الإسلام؛ فأي إسلام هذا؟

هذه الجرائم الشنيعة التي ارتكبته "جماعة بوكو حرام" تحقيقا لمصالح شخصية للإسلام بقصد أو بدون قصد مع أن الإسلام منها بريء لأن تصرفاتهم مخالف لهدى الإسلام فلا تجد لتصرفاتهم معتمدا فيما ورد في المصادر الإسلامية التي تحدثت عن النموذج الأمثل لحياة النبي عليه السلام وتعامله مع الآخر في عصر النبوة و عصر صدر الإسلام.

نتائج البحث:

- الاختلاف في الدين والجنس واللون والرأي، حكمة ربانية قضى بموجب وقوعها رب الأرض والسماء، فلا منجى منه " هو الذي خلقكم فمنكم كافر و منكم مؤمن و الله بما تعملون بصير"، وإن الاختلاف لا يعني خلافا بأي حال من الأحوال بل هو ثروة و فضل و عطاء لأجل أن "تتعارفوا"؛
- العنف والإجرام والجبروت التي نشاهده تحت ألوية شعارها الدين مرفوض وممقوت وباطل بل هي دسيسة من أيدي خبيثة تسعى لتشويه صورة الدين لأجل إشباع مصالحها الشخصية لأن الدين جسر وداد الناس كلهم؛
- التأثير الخارجي من تعصب على الموروث و حب تسلط و عناد عن الحق يصرف الكثيرين من الفطرة السليمة التي جبلت عليه الإنسانية فيحملهم على العنف الذي يبررونه بالحذر من كل جديد فهو الذي يحملهم على ارتكاب الجرائم التي نشاهدها اليوم باسم الدين؛
- الدين الإسلامي من أكثر الأديان تعرضا للنقد في مسألة التعايش السلمي المراد تحقيقيه بين طرفين أو أكثر في هذا العصر وذلك لكثرة الرايات المرفوعة باسمه من قبل الجماعات التي ترعب العباد والبلاد غير أننا بالرجوع إلى المصادر الإسلامية الأصيلة وإلى النماذج المأثورة من صفة حياة المسلمين في القرون المفضلة نجدها تكذب كل دعوة تريق الدماء باسم الإسلام؛

[9] التي نشأت من بين عام 2005م إلى عام 2009م

- إن أصل العلاقات الدينية بين الإسلام وغيره من الأديان، مبنية على الرأفة والرحمة والدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة. رأينا موقف الإسلام مع الوثنية في صلح الحديبية وفي فتح مكة المكرمة، ورأينا موقفه من اليهودية في ميثاق المدينة ورأينا موقفه في كتابة عهد لنصارى نجران؛
- إن الجماعات التي تقوم بالعنف والقتل والتشريد والتدمير في منطقة جنوب الصحراء على اختلاف مسمياتها وأزمنتها وأماكنها باسم الإسلام دعوتها باطلة وأمرها مردود عليها من جميع الأوجه؛ فغايتها مصالح شخصية تشبع هواها وتسعى لتشويه صورة الإسلام، لا غير.

المراجع:

1- ابن القيم الجوزية ، زاد المعاد في هدي خير العباد ، القاهرة ، مكتبة المنصورة ، 1999م

2- ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، الرياض ، شركة الرياض للنشر و التوزيع ، 1996م

3- حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الإسلام السياسي و الديني والثقافي والاجتماعي، دار الجيل، بيروت ، 1991م

4- محمد أبو شهبة، كتاب السيرة النبوية على ضوء الكتاب و السنة ج2 ص 541 دار القلم دمشق 1428هـ

5- محمد سعيد رمضان البوطي، فقه السيرة، دار الفكر بيروت ، 1993م

6- محمد بن عبد الوهاب ، مختصر سيرة الرسول صلى الله عليه و سلم ، المدينة المنورة ، مطبعة الجامعة الإسلامية ، 1956م

7- علي محمد محمد الصلابي ، السيرة النبوية ، الإمارات ، مكتبة الصحابة ، 2001م

8- Roger Garaudy, *Appel aux vivants,* Editions du Seuil, paris, 1979.

9- Tariq Ramadan, *De l'Islam et des musulmans*, presse de châtelet, 2014.

10- Claudio Monge, « La constitution de Médine » *Revue de la faculté de Théologie, Université de Fribourg*, vol 3, No7, 2009-2010

المواقع الإلكترونية:

1- http://islammedia.free.fr/Pages/mohamed.html

2- http://asraralislam.

3- http://www.islamreligion.com

4- http://www.reponse-aux-islamologues.com

5- https://ar.scribd.com/document/319816508